١ ـ مصطفى كمال

سيرة حياته

للكاتب الانجليزى ارمسترونج

تلخيص وتعليق حنفى غالى

هنالك فى الحى العثمانى بسالونيك فى بيت حقير متهدم ، قائم فوق أحد التلال فى ظل حصن عتيق ، رأى الطفل مصطفى نور الحياة عام ١٨٨١ ، فى عصر كانت الأمبراطورية العثمانية تعالج سكرات الموت من جراثيم الأمراض الخلقية والاجتماعية التى تنخر فيها ، وتكاد تلفظ النفس الأخير ، لولا أن قضت السياسة الأوربية فى ذلك الحين أن يبقى « الرجل المريض » ليذود الدب الروسى عن حياته ، ويحول دون امتداد طغيانه حتى يوافيه أجله المحتوم . فكأن العناية الالهية قد أرسلت الطفل العظيم فى هذا العصر لتبصره بموطن الداء ، وتهيئه لتأدية رسالته لانقاذ أمته .

كان أبوه على رزا رجلاً مغموراً نزح من ألبانيا إلى سالونيك طلباً للعيش وسعياً وراء القوت ، فابتسم له الأمل فيها نوعاما ، واشتغل كاتباً بادارة الدين العثمانى ، ولم يكن مرتبه الضئيل ليقوم بمطالب أسرته ، فزاول تجارة تعينه على الحياة .

أما أمه زبيدة فكانت كسائر النساء العثمانيات ، قعيدة البيت لا ترى نور الشمس إلا من كوته ، ولا تغادره إلا فى رفقة أحد محارمها لتعود ذويها أو جيرانها الأقربين ، فظلت فى ظلام دامس من الجهل بشئون العالم الخارجى لا تلم حتى بمبادىء القراءة والكتابة ، ولكنها كانت ربة أسرة بحق تعرف كيف تدبر أمورها بحزم ، وتسوسها بنظر بعيد ، فى مزاجها شىء من الحدة ، وفى محياها سيماء النبل والسيادة . يمتزج فى عروقها الدم الألبانى بالدم المقدونى ، وكانت أقرب الى الرجولة فى بنيانها ، مديدة القامة ، قوية الصحة ، وقد آثرت الحياة بجوار الريف الذى أحبته ونشأت فى أحضانه ، فظل لها خلق أهله من إيمان عميق ووطنية صادقة ، واستمساك بالقديم ، وعقل رجيح صائب الحكم فى مسائل الحياة الأولية ، وكانت ككل امرأة عثمانية تهب نفسها ، وتصفى ودها لزوجها وأطفالها الثلاثة الذين توفى أحدهم فى طفولته ، ولم يبق سوى مصطفى وأخته مكبولا

كان مصطفى هزيلاً نحيلاً ، وكان طفلاً فى سنه ، كهلاً فى خلقه . فلست ترى فيه جذل الأطفال ومرحهم . بل وقار الرجال ورزانتهم ، وكان عصى النفس عسير القياد ، كثير التمرد على أوامر والدته ، فاذا همت بتأديبه ثار واهتاج ، وكان قليل المخالطة لأقرانه من الأطفال مستقلا بنفسه عنهم ، اعتزل أبوه منصبه فأراد أن يعلمه الأتجار ليساعده ويعينه ، ولكن أمه أرادت أن تفقهه فى دينه ، فأرسل الى مكتب ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة ويستظهر القرآن . ثم الى مدرسة شمس أفندى حيث بدت بواكير نبوغه .

وفى ذلك الحين فجعت الأسرة بموت عائلها ، فأضحت فى فقر مدقع ، وبؤس ملح ، فلجأت زبيدة الى أخيها فأوى اليها وعطف عليها ، واحتضن مصطفى وأخرجه من المدرسة وأبقاه معه وناط به رعى الماشية وإطعامها ، ومال الفتى الى هذا اللون من الحياة واطمأن اليه ، إذ كسب منه قوة فى بنيته ومتانة فى صحته ، ولم ترده الأيام إلا حبا له وشغفاً به ، وإباء لكل ما يرمى الى انتزاعه منه ، ولكن الأم الحكيمة لم تنزل على هوى الفتى الغرير ، فأغرت أختاً لها بالأنفاق على تعليمه وكان لها ذلك . ألحق فتانا مرغماً باحدى مدارس سالونيك ، فألفى البون شاسعاً بين حياته الأولى الحرة الطليقة ، وبين حياته الجديدة السجينة القيدة ، فأضحى دائم الثورة كثير التبرم بنظام الدرس ، ولكنه ظل كما كان شديد الأعجاب بنفسه ، كثير التفاخر على أقرانه ، قليل المخالطة لهم حتى فى ألعابهم المدرسية ، فاذا هموا بمضايقته والتحرش به ، ناضلهم بشدة ، وردهم على أعقابهم مدحورين ، فاشتد بغضهم له ونفورهم منه وإنكارهم لكبريائه ، حتى اشتبكوا فى شجار معه وشكوه الى أحد المدرسين فصفعه صفعة أطارت صوابه ، ففر من المدرسة وعاد الى ذراعى أمه ، وعبثاً حاولت أن تعيده اليها رغم توسلها بالترغيب حيناً وبالارهاب أحياناً ، فاقترح خاله إرساله الى المدرسة الحربية بسالونيك ، لأن التعليم فيها لا يكلفهم من النفقات كثيراً ولا قليلاً ، وهى تحت رعاية السلطان عبد الحميد ، فاذا ظهر تفوق الفتى ارتفع الى مرتبة ضابط ، وإلا التحق جندياً بالحرس السلطانى . فمستقبله على أى حال واضح مأمون . ولما كانت الأم لترضى بهذا

أو تميل اليه ، إذ كانت تريده فقيهاً على غرارها فى التقى والورع ، ولكن فتانا الثائر نال منه الاقتراح كل منال ، وأخذ منه كل مأخذ ، فما كانت نفسه الطموح لتقنع بما تريده الأم . بل هو يريد أن يرتدى حلة الجندية التى يرتديها تربه أحمد ابن أحمد جيرانهم ، ويخطر بها غادياً رائحاً فى زهو وإعجاب ، ويمنى نفسه بأن يكون ضابطاً يصدر أوامره فيتلقاها مرؤوسوه بالإذعان والخضوع ، ولم يطل بفتانا الانتظار بل عول على نفسه فى تحقيق غايته . فلجأ الى ضابط متقاعد من معارف أبيه ، ورجاه أن يكون ولى أمره لدى المدرسة المذكورة . ثم تقدم للامتحان فجازه ، والتحق بها دون أن تعلم أمه من الأمر شيئاً ، وهكذا أرادت الأم شيئاً وأراد الله شيئاً آخر ، فكانت إرادته جلت قدرته أرحم بالفتى وبأمته من الأم الورعة الزاهدة ، وفى المدرسة وجد الفرصة التى هيأتها له الأقدار فى عالمها المحجوب ، فبرزت مواهبه رائعة فى الرياضة وسائر العلوم الحربية ، أما خلقه فظل كما هو ، بل زاد مزاجه حدة وطبعه تمرداً ، يثور لأقل نقد يوجه اليه ، أو لوم يلقى عليه ، وكان يحب دائماً أن يكون قبلة الأنظار ومدار الحديث ، ولم يكن أبغض اليه من أن يرى نفسه خاملاً ذاهباً فى غمرة الاهمال ، إذ كان شديد الشعور بشخصيته ، قوى الأحساس بارتفاعها عن أقرانه ، حتى كان يرد من حاول الأتصال به منهم قائلاً « أنا لا أريد أن أكون واحداً من أمثالكم » ويمضى فى سبيله قدماً لا يلوى على شيء ، كذلك كان لرغبته الملحة فى التفوق والتبرز ، شديد الحسد لكل من يبذه منهم ، ولعلك تعجب حين تعلم أن هذا الفتى الجاف الخلق الفظ الطباع يلعب الغرام برأسه ، فيرى دائماً يخطر فى أبهى ملابسه وأزهاها ، مداعباً للفتيات مغازلاً لهن ، محاولاً الاستيلاء على قلوبهن ، ولكن لم العجب؟ أوليست هى الطبيعة تأبى إلا أن تبرز العظيم فى جميع أدوار حياته نمطاً شاذاً ؟

ومهما يكن من أمر فتانا فقد نبغ نبوغاً لفت نظر أحد أساتذته واسمه مصطفى ، فاختاره مشرفاً على إحدى الفرق الصغرى ووكل اليه إلقاء بعض الدروس ، ولتشابه الأسمين ميز الأستاذ تلميذه باضافة اسم كمال ، فأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم مصطفى كمال ، وقد تخرج فى المدرسة فى سن السابعة عشرة . ثم أرسل الى المدرسة الحربية العليا بموناستير

(يتبع) مثنى غالى

مشهد ومكة

بقلم الأستاذ أمين الخولى
المدرس بكلية الآداب

سارت الرسالة فى عددها التاسع والخمسين ، بكلمة ناقدة للأستاذ عبد الوهاب عزام ، عن كتاب « جولة فى ربوع الشرق الأدنى » للرحالة محمد ثابت ، وقد عنانى من هذه الكلمة تفظيع الأستاذ عزام خطأ الرحالة فى قوله عن شيعة إيران : إنهم يفضلون مشهداً على مكة ؛ فنشطت لكتابة هذه الكلمة لا أنصافاً للناقد أو المنقود ، فهذا شيء قد يكون عند غيرى حسابه ، إنما عنيت بذلك لثلاث : إحداهن حب الحقيقة ، وإنها لحقيقة أن تبتغى لذاتها ، ويحمل إلى الناس تصحيح ما خالفها تطوعاً . وثانيتهن: أن فى هذا الحديث عن تفضيل الشيعة مشهداً على مكة مثلاً شيقاً طريفاً للباحث النفسى عن فرق ما بين العقيدة والفكرة ، وصلة ما بين العقل بمنطقه ، والاعتقاد بسلطانه . كما أن أمثال هذه الحقائق النفسية هى الأصول القوية لتفسير التاريخ تفسيراً صحيحاً صادقاً . والثالثة : أننا حين نعمل جادين ، وندعو محبين للوحدة الأسلامية ، وتقريب ما بين الشعوب الأسلامية على تنائى ديارها ، واختلاف أنظارها ، يجب أن نعرف الحقائق على ما قد يكون بها من قسوة وشدة ، إذ لا غناء فى إنكارها ، ولا خير لنا فى تناسيها أو نسيانها .

* * *

قال الأستاذ الناقد « وأفظع من هذا كله قوله عن إخواننا شيعة إيران ، إنهم يفضلون مشهداً على مكة ، وكيف يعقل أن أمة مسلمة شديدة الغيرة على دينها تعتقد أن الحج الى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج الى مكة ؟ . ربما بالغ عامة الايرانيين فى تعظيم مشهد وغيرها من الزارات الشريفة ، كما يبالغ عامة المصريين فى تعظيم مسجد سيدنا الحسين ، والسيدة زينب ، والسيد البدوى ، وابراهيم الدسوقى : ولكن عمل العامة لا تفسر به عقائد الأمة .